قيس بن الخطيم

قيس بن الخطيم
تو. نحو 46 هـ

هو قيس بن الخطيم بن عديّ بن عمرو بن سواد ....بن حارث الغطريف . يُتّم من أبيه وهو صغير . فقد قتل والده رجل من عبد قيس . وكان جده عديّ قد مات قتلاً ايضاً ، فأخذ قيس على نفسه أن يثأر لابيه وجده ، وظل يهيم في طلب قاتليهما حتى ظفر بقاتل ابيه في يثرب وقاتل جده في ذي المجاز .

كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، براق الثنايا ، حسن الصورة . وذُكر انه كان من أحسن الناس وجهاً ، وانه ممن كانوا يتعممون مخافة النساء على انفسهن من جماله . كان شاعر الأوس وبينه وبين حسّان بن ثابت منافسات . وقيل إنه قدم مكة فدعاه **الرسول** الى **الاسلام** وتلا عليه **القرآن** فقال : اني لأسمع قولاً عجباً ، فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود اليك . لكنه مات قبل ان يعود .

يجري قيس في شعره مجرى الجاهليين حيث يستهل بالبكاء على الاطلال ثم ينتقل الى الغزل الوصفي فينظر الى المرأة عضواً عضواً وينهي قصائده بالفخر معدداً مآثره في الفتك بالاعداء والتهديد والنقمة . في شعره وصف للحرب ، يتخلله ذكر الاسلحة وتعداد أسماء الابطال من قبيلته مفاخراً، بينما يهجو الاعداء وفرارهم ، ذاكراً أيام انتصار أهله على الاعداء يوماً يوماً . وهو يعتمد في اسلوبه الفني على المعاني بشكلها الواضح ، وقد يلونها ببعض الخيال الحسي المرهون بجزئيات الواقع ومادته ، فتتلاحق الصور في شعره مترجحة بين الغلو والتقرير ، مشبعة بالحماسة والانفعال حتى العنجهية .

قال أبو الفرج الأصفهاني في "الأغاني": ((هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر، ويكنى قيس أبا يزيد. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم:

بين شكول النساء خلقتها حذواً فلا جبلة ولا قضف

فقال: لولا أن أبا يزيد قال: حذوا ما درى الناس كيف يخشون هذا الموضع

وكان أبوه الخطيم قتل وهو صغير، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها.

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي الأعرابي عن المفضل قال: كان سبب قتل الخطيم أن رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله، وقيس يومئذ صغير، وكان عدي أبو الخطيم أيضاً قتل قبله، قتله رجل من عبد القيس، فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، وظفر بقاتل جده بذي المجاز، فلما أصابه وجده في ركبٍ عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رهط من الأوس، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدار الفزاري، فاستنجده فلم ينجده، فأتى خداش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عدي، فإذا هو واقف على راحلته في السوق، فطعنه قيس بحربة فقتله، ثم استمر. فأراده رهط الرجل، فحالت بنو عامر دونه؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم:

ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ولاية أشياخ جعلت إزاءها
ضربت بذي الزجين ربقة مالك فأبت بنفس قد أصبت شفاءها
وسامحني فيها ابن عمرو بن عامرٍ خداش فأدى نعمة وأفاءها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ماوراءها

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل. وأما ابن الكلبي فإنه ذكر أن رجلاً من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمار بن ياسر، وكان عالماً بحديث الأنصار، قال: كان من حديث قيس بن الخطيم أن جده عدي بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك، وقتل أباه الخطيم بن عدي رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر؛ وكان قيس يوم قتل أبوه صبياً صغيراً، وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدي؛ فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدك، فكان قيس لايشك أن ذلك على ذلك. ونشأ أيداً شديد الساعدين، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر، فقال له: ومن قاتل أبي وجدي؟ قال: سل أمك تخبرك؟ فأخذ السيف ووضع قائمة على الأرض وذبابة بين ثدييه وقال لأمه: أخبريني من قتل أبي وجدي؟ قالت: ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفناء؛ فقال: والله لتخبرينني من قتلهما أو لأتحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري؛ فقالت: أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممن يسكن هجر؛ فقال: والله لأنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدي؛ فقالت: يا بني إن مالكاً قاتل جدك من قوم خداش بن زهير، ولأبيك عن خداش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره في أمرك واستعنه يعنك؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناصحه وهو يسقي نخله، فضرب الجرير بالسيف فقطعه، فسقطت الدلو في البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل على غرارتين من تمر، وقال: من يكفيني أمر هذه العجوز؟ (يعني أمه) فإن مت أنفق عليها من هذا الحائط حتى تموت ثم هو له، وإن عشت فمالي عائد إلي وله منه ما شاء أن يأكل من تمره؛ فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دل عليه بمر الظهران، فصار إلى خبائه فيم يده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأة خداش: هل من طعام؟ فأطلعت إليه فأعجبها جماله، وكان من أحسن الناس وجهاً؛ فقالت: والله ما عندنا من نزلٍ نرضاه لك إلا تمراً؛ فقال: لا أبالي، فأخرجي ما كان عندك؛ فأرسلت إليه بقباع فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شقها ورد شقها الباقي في القباع، ثم أمر بالقباع فأدخل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس، فقال: هذا رجل متحرم. وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رطباً؛ فلما رأى خداش رجله وهو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالت: نعم؛ قال: كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي؛ فلما منه قرع طنب البيت بسنان رمحه واستأذن، فأذن له خداش فدخل إليه، فنسبه فانتسب وأخبره بالذي جاء له، وسأله أن يعينه وأن يشير عليه في أمره؛ فرحب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر مازلت أتوقعه منك منذ حين. فأما قاتل جدك فهو ابن عم لي وأنا أعينك عليه، فإذا اجتمعا في نادينا جلست إلى جنبه وتحدثت معه، فإذا ضربت فخذه فثب إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش، فحين ضرب فخذه فثب إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لما جالسه خداش، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخرصين، فثار إلي القوم ليقتلوني، فحال خداش بينهم وبيني وقال: دعوه فإنه والله ما قتل إلا قاتل جده. ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس إلى العبدي الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريباً من هجر أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دل عليه قال له: إن لصاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي، فسألت من سيد قومه فدللت عليك، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أخرج معه غيره فاضحك، فإن سألك مم ضحكت فقل: إن الشريف عندنا لايصنع كما صنعت إذا دعي إلى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذ هيبة" له، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك، وإن أبى إلا أن يمضوا معه فأتني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه. ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبدي فقال له ما أمره خداش فاحفظه، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس، فلما طلع على خداش، قال له: اختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يفلتنك؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، فلما فرغ منه قال له خداش: إنا إن قررنا الآن طلبنا قومه، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريباً منه، ولكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره، فإذا وجدوه قتيلاً، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خداش. وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا، فلم يتكلما حتى لآتيا منزل خداش، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى أهله. ففي ذلك يقول قيس:

تذكر ليلى حسنها وصفاءها	وبانت فما إن يستطيع لقاءها
ومثلك قد أصبيت ليست بكنةٍ	ولاجارة أفضت إلي خباءها
إذا ما اصطبحت أربعاً خط مئزري	وأتبعت دلوي في السماح رشاءها
ثأرت عدياً والخطيم فلم أضع	وصية أشياخ جعلت إزاءها

وهي قصيدة طويلة.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا زكريا بن يحيى المنقري قال حدثنا زياد بن بيان العقيلي قال حدثنا أبو خولة الأنصاري عن أنس بن مالك قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله:

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " هل كان كما ذكر"؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بعاث فإنه كان عظيماً، وإنما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون بالخشب.

قال الزبير وأنشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فضحك وقال: ما أقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسعف قال أبو الفرج: وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جيد شعر قيس بن الخطيم، ومما أنشده نابغة بني دبيان فاستحسنه وفضله وقدمه من أجله.

أنشد النابغة من شعره فاستجاده أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال قال أبو غزية قال حسان بن ثابت: قدم النابغة المدينة فدخل السوق فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول:

عرفت منازلاً بعريتنات فأعلى الجزع للحي المبن

فقلت: هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافية منكرة. قال ويقال: إنه قالها في موضعه، فما زال ينشد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجل ينشد؟ فتقدم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده: "أتعرف رسماً كاطراد المذاهب" حتى فرغ منه؛ فقال: أنت أشعر الناس يابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، وإني في ذلك لأجد القوة في نفسي عليهما، ثم تقدمت فجلست بين يديه؛ فقال: أنشد فو الله إنك لشاعر قبل أن تتكلم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته؛ فقال أنت أشعر الناس. قال الحسن بن موسى: وقالت الأوس: لم يزد قيس بن الخطيم النابغة على: "أتعرف رسماً كاطراد المذاهب" -نصف البيت-حتى قال أنت أشعر الناس

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال قال سليمان بن داود المجمعي: كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينهما برقا، ما رأته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها.

أخبرني الحسن قال حدثنا محمد قال حدثنا الزبير قال حدثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المجمعي قال: قال حسان بن ثابت للخنساء: أهجي قيس بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه. قال: فجاءته يوماً فوجدته في مشرقةٍ ملتفاً في كساء له، فنخسته برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبر، فأدبر؛ ثم قالت: أقبل، فأقبل. قال: والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائماً؛ فقالت: والله لا أهجو هذا أبداً.

قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال: كانت عند قيس بن الخطيم حواء بنت يزيد بن سنان بن كريز بن زعوراء فأسلمت، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها، فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد، وأوصاه بها خيراً، وقال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ رسول صلى الله عليه وسلم؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " وفي الأديعج" قال أبو الفرج وأحسب هذا غلطاً من مصعب، وأن صاحب هذه القصة قيس بن شماس، وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة.

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم وبين الأوس: أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحوي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل: أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم، فتوامروا وتواعدو قتله؛ فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد مالاً له بالشوط حتى مر بأطم بني حارثة، فرمي من الأطم بثلاثة أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاح صيحة سمعها رهطه، فجاؤوا فحملوه الى منزله، فلم يروا له كفئاً إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك النجاري، فاندس إليه رجل حتى اغتاله في منزله، فضرب عنقه واشتمل على رأسه، فأتى به قساً وهو بآخر رمق، فألقاه بين يديه وقال: يا قيس قد أدركت بثأرك؛ فقال: عضعضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة! فقال: هو أبو صعصعة، وأراه الرأس! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات)).

المرجع: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

الديوان

اتذْكرَ ليلى حسنَها وصَفَاءها

تذكرَ ليلى حسنَها وصَفَاءها

وبانتْ فأمسىَ ما ينالُ لقاءهَا

ومثْلِكِ قدْ أصْبَيْتُ، ليْسَتْ بكَنّةٍ

ولا جارةٍ، أفْضَتْ إليَّ حياءها

إذا ما اصْطَبَحْتُ أرْبَعاً خَطَّ مِئْزَري

وأتبعتُ دلوي في السَّخاء رشاءها

ثأرْتُ عَدِيّاً والخَطِيمَ فَلَمْ أُضِعْ

ولايةَ أشياءٍ جعلتُ إزءها

ضَرَبْتُ بذِي الزِّرِّيْن ربْقةَ مالكٍ

فأبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءها

وسامحني فيها ابنُ عمرِو بنِ عَامِرٍ

خداشٌ فأدَّى نعمةً وأفاءها

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القَيْس طعنةَ ثائرٍ

لها نفذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءها

ملكتُ بها كفّي فأنهرتُ فتقها

يرى قائماً من خلفها ما وراءها

يَهونُ عليَّ أن تَرُدَّ جِرَاحُهُ

عيونَ الأواسي إذ حُمِدتَ بلاءهُا

وكنتُ امْرءاً لا أسْمعُ الدَّهْرَ سُبّةً

أسب بها إلا كشفت غطاءها

وإنّيَ في الحرب الضَّرُوس مُوكَّلٌ

بإقْدامِ نَفْسٍ ما أُريدُ بَقاءها

إذا سَقِمَتْ نَفْسي إلى ذي عَداوةٍ

فإنّي بنَصْلِ السّيْفِ باغٍ دواءها

متى يأت هذا الموت لا تبق حاجة

لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

وكانت شَجاً في الحَلْقِ ما لم أَبُؤْ بها

فأبت بنفس قد أصبت دواءها

وقد جربت مني لدى كل مأقطٍ

دُحَيٌّ إذا ما الحَرْبُ أَلْقَتْ رداءها

وإنّا إذا ما مُمْتَرُوا الحَرْبِ بَلْحُوا

نُقيمُ بأسْبادِ العَرينِ لواءها

ونُلْقِحُها مَبْسُورةً ضَرْزَنِيّةً

بأسيافنا حتى نذل إباءها

وإنا منعنا في بعاث نساءنا

وما مَنَعَتْ م المخْزياتِ نِساءها

أأنّى سَرَبْتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ

أنّى سَرَبْتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ

وتُقرِّبُ الأحلامُ غيرَ قَريبِ

ما تَمْنَعِي يَقْظَى فقد تُؤْتِينَهُ

في النّوْمِ غيرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

كان المُنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيتُها

فَلَهَوْتُ مِن لَهْوِ امرىء مكذوبِ

فرَأيْتُ مثل الشّمْسِ عندَ طُلوعها

في الحُسْنِ أو كَدُنُوّها لِغُروبِ

صَفْراءُ أعْجَلَها الشّبَابُ لِدَاتِها

مَوْسُومةٌ بالحُسْنِ غيرُ قَطوبِ

تخطوُ على بردتين غذاهما

غدقَ بساحةٍ حائرٍ يعبوبِ

تنكل عن حمش اللثات كأنه

برد جلته الشمس في شؤبوب

كشقيقة السيراء أو كغمامة

بَحْرِيّةٍ في عارضٍ مَجْنوبِ

أبَني دُحَيّ، والخَنا مِنْ شأنكمْ

أنّى يَكونُ الفَخْرُ للمَغْلوبِ

وكأنهم في الحرب إذ تعلوهم

غَنَمٌ تُعَبِّطُها غُوَاةُ شُرُوبِ

إن الفضاء لنا فلا تمشوا به

أبداً بعَالِيَةٍ ولا بذُنُوبِ

وتفَقّدُوا تِسْعِين مِنْ سَرَوَاتِكُمْ

أشْباهَ نَخْلٍ صُرّعَتْ لِجُنوبِ

وسَلوا صَريحَ الكاهِنَيْنِ ومالكاً

عن من لكم من دارع ونجيب

أجدَّ بعمرةَ غنيانُها

أجدَّ بعمرةَ غنيانُها

فَنَهْجُرَ، أم شَأْنُنا شَانُها

وإن تمسِ شطتْ بها دارها

وَباحَ لكَ اليومَ هِجْرانُها

فما روضة من رياض القطا

كأنَّ المصابيحَ حَوْذانُها

بأحْسَنَ منها، ولا مُزْنَةٌ

دَلُوحٌ تكَشَّفُ أدْجَانُها

وعَمْرَة منْ سَرَوَاتِ النِّسَا

ء تَنْفَحُ بالمسْكِ أرْدَانُها

ونحن الفوارس يوم البي

ع، قد علموا كيف فرسانها

جنبنا الحراءب وراء الصري

خ حتى تقصف مرانها

فلمّا اسْتَقَلَّ كَلَيْثِ الغَرِيـ

ـفِ زَانَ الكَتِيبةَ أعْوَانُها

تَراهُنَّ يُخْلَجْنَ خَلْجَ الدِّلا

ء تختلج النزع أشطانها

ولاقى الشَّقاءَ لدَى حَرْبِنا

دُحَيٌّ وَعَوْفٌ وإخْوانُها

رَدَدْنَا الكَتِيبةَ مَفْلولةً

بِها أفْئُهَا وَبِها ذَانُهَا

وقد علموا أن متى ننبعث

عَلى مِثْلِها تَدْكُ نِيرانُها

ولولا كَراهَةُ سَفْكِ الدِّماءِ

لعاد ليثرب أديانها

ويثرب تعلم أن النبي

ت راس بيثرب ميزانها

حِسَانُ الوُجُوهِ، حِدادُ السُّيو

فـِ، يَبْتَدِرُ المَجْدَ شُبّانُها

وبالشوط منيثرب أعبد

سَتَهْلِكُ في الخَمْرِ أثمانُها

يهُونُ على الأوْس أثمانُهمْ

إذا رَاحَ يَخْطِرُ نَشْوانُها

أتتهم عرانين من مالك

سراع إلى الروع فتيانها

وقد علموا أن ما فلهم

حَدِيدُ النَّبيتِ وأعيانُها

أأتَعْرِفُ رَسْماً كاطِّرَادِ المَذاهبِ

أتَعْرِفُ رَسْماً كاطِّرَادِ المَذاهبِ

لعمرة وحشاً غير موقف راكب

ديارَ التي كادتْ ـ ونحنُ على مِنًى ـ

تَحُلُّ بنا، لولا نَجاءُ الرَّكائبِ

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة

بَدا حاجبٌ منها وضَنّتْ بحاجبِ

ولم أرها إلا ثلاثاً على منى

وعَهْدي بها عَذْراءَ ذاتَ ذّوائبِ

ومِثْلِكِ قد أصْبَيْتُ ليستْ بكَنّةٍ

ولا جارةٍ ولا حَلِيلةِ صاحبِ

دعَوْتُ بني عَوْفٍ لحَقْنِ دمائهمْ

فلمّا أبَوْا سامحْتُ في حَرْبِ حاطبِ

وكُنْتُ امْرءاً لا أبْعثُ الحَرْبَ ظالماً

فلمّا أبَوْا أشْعَلْتُها كُلَّ جانبِ

أربت بدفع الحرب حتى رأيتها

عن الدفع لا تزداد غير تقارب

فإذْ لم يَكُنْ عَنْ غايةِ الموْتِ مَدْفعٌ

فأهْلاً بها إذْ لم تَزَلْ في المَرَاحبِ

فلما رأيت الحرب حرباً تجردت

لبست مع البردين ثوب المحارب

مُضَاعَفَةً يَغْشَى الأناملَ فَضْلُها

كأنَّ قَتيرَيْها عُيُونُ الجنادبِ

أتت عصبم الكاهنين ومالك

وَثَعْلَبَةَ الأثْرينَ رَهْطِ ابن غالبِ

رجال متى يدعوا إلى الموت يرقلوا

إليه كإرْقال الجِمَال المَصَاعِبِ

إذا فزعوا مدوا إلى الليل صارخاً

كَمَوْجِ الأتيّ المُزْبِدِ المُتراكِبِ

تَرَى قِصَدَ المُرَّانِ تَهْوي كأنَّها

تذرع خرصان بأيدي الشواطب

صَبَحْنا بها الآطامَ حَوْلَ مُزاحِمٍ

قَوَانِسُ أُولى بَيْضِنا كالكَواكبِ

لَوَانَّكَ تُلْقي حنظلاً فوق بَيْضِنا

تَدَحْرَجَ عَنْ ذي سامِهِ المُتقاربِ

إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا

صدود الخدود وازورار المناكب

صدود الخدود والقنا متشاجر

ولا تبرح الأقدام عند التضارب

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها

خطانا إى أعدائنا فنضاربِ

أُجالِدُهُمْ يَوْمَ الحَدِيقةِ حاسِراً

كأنَّ يدي بالسّيفِ مخراقُ لاعبِ

وَيَوْمَ بُعاثٍ أسْلَمَتْنا سُيُوفُنا

إلى نَسَبٍ في جِذْمِ غَسّانَ ثاقِبِ

يعرَّينْ بيضاً حينَ نلقى عدوَّنا

ويغمدن حمراً ناحلاتِ المضاربِ

أطاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أميراً نهاهُمُ

عَنِ السِّلْمِ حتى كان أوَّلَ واجبِ

أويتُ لعوفٍ إذْ تقولُ نساؤهم

وَيَرْمِينَ دَفْعاً: لَيْتَنا لم نُحاربِ

صَبَحْناهُمُ شَهْباءَ يَبْرُقُ بَيْضُها

تبينُ خلاخيلَ النسّاء الهواربِ

أصابت سراةً م الأغرّ سيوفنا

وغُودِرَ أولادُ الإماءِ الحَواطِبِ

ومنّا الذي آلى ثلاثين ليلةً

عن الخمرِ حتى زاركمْ بالكتائبِ

رضيتُ لهمْ إذْ لا يريمون قعرها

إلى عازبِ الأموال إلا بصاحبِ

فَلَوْلا دُرى الآطامِ قد تَعْلمونَهُ

وتركُ الفضا، شوركتمُ في الكواعبِ

فلم تمنعوا منّا مكاناً نريدهُ

لكُمْ مُحْرزاً إلا ظُهُورَ المشاربِ

فهلاَّ لَدَى الحَرْبِ العَوَان صَبَرْتمُ

لوقعتنا، والبأسُ صعبُ المراكبِ

ظَأرْناكُمُ بالبيضِ حتى لأئتُمُ

أذلُّ مِنَ السُّقْبان بَينَ الحلائبِ

ولمّا هَبَطْنا الحَرْثَ قال أميرُنا:

حرامٌ علينا الخمرُ ما لم نضاربِ

فسامحهُ منّا رجالٌ أعزَّةٌ

فما بَرِحُوا حتى أُحِلّتْ لِشاربِ

فَلَيْتَ سُوَيْداً راءَ مَن جُرَّ مِنْكُمُ

ومَن فَرَّ إذْ يحْدُونَهُمْ كالجلائبِ

فَأَبْنا إلى أبْنائنا ونِسائنا

وما مَنْ تَرَكْنا في بُعاثٍ بآئبِ

وغُيّبْتُ عَن يَوْمٍ كَنَشْني عشيرتي

ويومُ بُعاثٍ كان يَوْمَ التّغالُبِ

اردَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا

ردَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا

ماذا عَلَيْهِمْ لَوَ انّهُمْ وَقَفُوا

لَوْ وَقَفُوا ساعةً نُسَائلُهُمْ

رَيْثَ يُضَحّي جِمَالُهُ السَّلَفُ

فِيهِمْ لَعُوبُ العِشاء آنِسَهُ الـ

ـدَّلّ، عروبٌ يسوءها الخلفُ

بَيْنَ شُكولِ النّساء خِلْقَتُها

قصدٌ، فلا جبلةٌ ولا قضفُ

ألا إنَّ بينَ الشَّرعبيّ وراتجِ

ضراباً كتخذيمِ السَّيالِ المعضَّدِ

تغترقُ الطَّرفَ وهيَ لاهيةٌ

كأنّما شَفَّ وَجْهَها نُزُفُ

قَضى لهَا اللّهُ حين يَخْلُقُها الـ

ـخالقُ ألاَّ يكنَّها سدفُ

تَنامُ عَنْ كُبْرِ شَأنِها فإذا

قَامَتْ رُوَيْداً تَكادُ تَنْغَرِفُ

ترى اللاّبةَ الْوداءَ يحمرُّ لونها

ويسهل منها كلُّ ربيعٍ وفدفدِ

حَوْراءُ جَيْداءُ يُسْتَضاء بها

كأنّها خُوطُ بَانَةٍ قَصِفُ

تَمْشي كمَشْيِ الزَّهراء في دَمَثِ الـ

ـرَّمل إلى السّهل دونهُ الجرفُ

ولا يغثُّ الحديثُ ما نطقتْ

وَهْوَ بِفِيها دُو لَذَّةٍ طَرِفُ

تَحْزُنُهُ وَهْوَ مُشْتَهًى حَسَنٌ

وهوَ إذا ما تكلمت أنفُ

كأنَّ لبّاتها تبدَّدها

هَزْلى جَرَادٍ أجْوَازُهُ جُلُفُ

كأنّها دُرَّةٌ أحَاطَ بها الـ

ـغوَّاصُ، يجْلو عن وجهها الصَّدَفُ

واللهِ ذي المسجدِ الحرامِ وما

جُلِّلَ مِنْ يُمْنَةٍ لها خُنُفُ

وأنّنا دُونَ ما يَسومُهُمُ الأعـ

ـدَاءُ وَرَاءهُمْ أُنُفُ

نفلي بحدّ الصَّفيحِ هامهمُ

وفلينا هامهمْ بنا عنفُ

وَذي شيمَةٍ عَسْراءَ تَسْخَطُ شيمتي

أقولُ له: دعني ونفسك أرشدِ

فما المالُ والأخلاقُ إلاَّ مُعَارَةٌ

فما اسطعتَ من معروفها فتزوَّدِ

إنّا وَلَوْ قَدَّمُوا التي عَلِمُوا

أكْبادُنَا مِنْ وَرَائهمْ تَجِفُ

لمّا بدتْ غدوةً جباههمُ

حنتْ إلينا الأرحامُ والصُّحفُ

مَتى ما تَقُدْ بالباطلِ الحقَّ يأبَهُ

وإنْ قُدْتَ بالحقّ الرَّواسيَ تَنْقَدِ

كقيلنا للمقدِّمينَ: قفوا

عن شأوِكُمْ، والحِرَابُ تختَلِفُ

مَتى ما أتَيْتَ الأمْرَ مِنْ غَير بابهِ

ضللتَ وإنْ تدخلْ من الباب تهتدِ

فمنْ مبلغٌ عني شريد بن جابرٍ

رولاً إذا ما جاءهُ وابن مرفدِ

يتبعُ آثارها إذا اختلجتْ

سُخْنٌ عَبيطٌ عُرُوقُهُ تَكِفُ

فأقسمت لا أعطي يزيد رهينةً

سِوَى السّيْفِ حتى لا تَئُوء له يدي

قالَ لنا النّاسُ: معشرٌ ظفروا

قلنا: فأنّى بقومنا خلفُ

لنا معَ آجامنا وحوزتنا

بَيْنَ دُرَاها مَخارفٌ دُلُفُ

فلا يُبْعِدَنْكَ اللّهُ عبدَ بن نافذٍ

ومَنْ يَعْلُهُ رُكْنٌ من التُّرْبِ يَبعَدِ

يذبُّ عنهنَّ سامرٌ مصعٌ

سودَ الغواشي كأنّها عرفُ

العمرة -إذْ قلبهُ معجبٌ

لعمرة -إذْ قلبهُ معجبٌ

فأنّى بعمرةَ أنّى بها

ليالٍ لنا ودها منصبٌ،

إذا الشَّولُ لطت بأذنابها

وراحت حدابيرُ حب الظهو

رِ مجتلماً لحم أصلابها

كأن القرنفل والزنجبيلَ

وذاكي العبير بجلبابها

نَمَتْها اليَهُودُ إلى قُبّةٍ

دوينَ السماء بمحرابها

ونارٍ يُقَصِّرُ عَنْها الدَّنِـ

ـيُّ آخِرَ لَيْلٍ صَلِينا بها

ومَلْمومَةٍ كَصَفاةِ المَسِيـ

ـلِ دارتْ رَحاها وَدُرْنا بها

مَشَيْنا إليها كَجُرْبِ الحِما

لِ باقي الهناء بأقْرابها

امعاقلهمْ آجامهم ونسائهمْ

معاقلهمْ آجامهم ونسائهمْ

وأيماننا بالمشرفية معقلُ

كأنَّ رؤوس الخزرجيّينَ -إذْ بدتْ

كتائبنا تترى معَ الصُّبح-حنظلُ

فلا تقربوا جذمانَ إنَّ حمامهُ

وجنتّهُ تأذى بكم، فتحمّلوا

وكائنْ رأينا منْ أناسٍ ذوي غنىً

وجِدَّةِ عَيْشٍ أصبَحوا قدْ تبَدَّلوا

فإنْ تكُ قد أُوتيتَ مالاً فلا تكُنْ

بهِ بَطِراً والحالُ قَدْ تَتَحوَّلُ

فَلَيْس علينا قالةٌ غَيْرَ أنّنا

نسودُ ونكفي، كلَّ ذلك نفعلُ

كأنّا وقدْ أجلوا لنا عنْ نسائهمْ

أسودٌ لها في عيصٍ بشيةَ أشبلُ

ببئرِ الدُّرَيْكِ فاسْتَعِدُّوا لمِثْلِها

وأصغوا لها آذانكمْ وتأمّلوا

اسلِ المرءَ عبدَ الله إذْ فرَّ هلْ رأى

سلِ المرءَ عبدَ الله إذْ فرَّ هلْ رأى

كتائبنا في الحربِ كيفَ مصاعها

ولوْ قامَ لمْ يلقَ الأحبّةَ بعدها

ولاقى أُسُوداً هَصْرُها ودِفاعُها

ونحنُ هَزَمْنا جَمْعَكُمْ بكَتيبةٍ

تَضَاءلَ مِنها حَزْنُ قَوْرى وقاعُها

إذا هم جمع بانصراف تعطفوا

تعطف ورد الخمس أطّت رباعها

تركنا بعاثاً يوم ذلك منهم

وقَوْرَى على رَغْمٍ شِباعاً ضِباعُها

اصرمتَ اليومَ حبلكَ منْ كنودا

صرمتَ اليومَ حبلكَ منْ كنودا

لتبدلَ حبلها حبلاً جديدا

مِنَ اللاَّئي إذا يَمْشِينَ هَوْناً

تجلببنَ المجاسدَ والبرودا

كأنَّ بطونهنَّ سيوفُ هندٍ

إذا ما هُنَّ زايَلْنَ الغُمُودا

تبدَّتْ لي لتقتلني فأبدتْ

مَعَاصِمَ فَخْمَةً مِنْها وَجيدا

ووجهاً خلتهُ لمّا بدا لي

غَدَاةَ البَيْنِ دِيناراً نَقِيدا

سقينا بالفضاء كؤوسَ حتفٍ

بني عوفٍ وإخواتهمْ تزيدا

لَقِيناهُمْ بِكُلّ أخي حُرُوبٍ

يقودُ وراءهُ جمعاً عتيدا

وَمُشْرِفَةَ التَّلائل مُضْمَرَاتٍ

طَوَى أحْشاءها التَّعْداءُ، قُودا

أكُنْتُمْ تَحْسِبُون قِتالَ قَوْمي

كأكْلِكُمُ الفَغَايا والهَبِيدا

وإنّ سُيُوفَنا ذَهَبَتْ عَلَيْكُمْ

بَني شَرِّ الخَنى مَهَلاً بَعِيدا

ويأبى جَمْعُكُمْ إلاَّ فِرَاراً

ويأبى جَمْعُنا إلاَّ وُرُودا

وإنَّ وعيدناكمْ حينَ نمشي

بهنَّ على المنون ولا وعيدا

ألا منْ مبلغٌ عنّي كعيباً

فهلْ ينهاكَ لبُّكَ أنْ تعودا

أراني كُلّما صَدَّرْتُ أمْراً

بني الرَّقعاء جشّمكمْ صعودا

فما أبقتْ سيوفُ الأوس منكمْ

وحَدُّ ظُباتِها إلاَّ شَرِيدا

فَلَنْ نَنْفَكَّ نَقْتُلُ مَا حَيِينا

رجالكمُ ونجعلكمْ عبيدا

ابَعْضُ القوْل لَيْسَ لهُ عِيَاجٌ

بَعْضُ القَوْل لَيْسَ لهُ عِيَاجٌ

كَمَخْض الماء لَيْسَ له إتاءُ

يَصُوغُ لكَ اللّسانُ على هَوَاهُ

وَيَفْضَحُ أكْثرَ القِيل البَلاء

ومَا بَعْضُ الإقامَةِ في دِيارٍ

يكونُ بها الفتى إلاَّ عناء

وَلَم أرَ كامْرِىءٍ يَدْنو لِخَسْفٍ

لهُ في الأرض سيرٌ وانتواء

وبَعْضُ خَلائق الأقْوام داءٌ

كداء الكشح ليسَ لهُ شفاء

ألا منْ مبلغُ الشّعراء عنّي

فلا ظُلْمٌ لديَّ ولا ابْتِداء

ولستُ بعابطِ الأكفاء ظلماً

وعندي للملمّاتِ اجتزاء

يحبُّ المرءُ أن يلقى مناهُ

وبأبى الله إلاّ ما يشاء

امنْ يكُ غافلاً لمْ يلقَ بؤساً

منْ يكُ غافلاً لمْ يلقَ بؤساً

يُنِخْ يَوْماً بسَاحَتهِ القَضَاءُ

تَنَاوَلُهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ حَتّى

تتلّمهُ كما انتلمَ الإناء

وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بحيٍّ

سيأتي بعدَ شدَّتها رخاء

فَقُلْ للمُتّقي عَرَضَ المَنَايا:

تَوَقَّ، ولَيْسَ يَنْفَعُكَ اتّقاء

فلا يعطى الحريصُ غنىً لحرصٍ

وقدْ ينمي لذي العجزِ الثَّراء

غنيُّ النّفس، ما استغنى ، غنيٌّ

وفَقْرُ النّفْس، ما عَمِرَتْ، شَقاء

اإذا جاوزَ الإثنينسرٌّ فإنّهُ

إذا جاوزَ الإثنينسرٌّ فإنّهُ

بنَشْرٍ وتَكْثيرِ الحَدِيثِ قَمِينُ

وإنْ ضَيّعَ الإخْوانُ سِرّاً فإنّني

كَتُومٌ لأسْرَارِ العَشِيرِ أمينُ

فذلك ما قَدْ تَعْلَمِينَ، وإنّني

مَقَرٌّ بِسَوْداء الفُؤادِ كَنِينُ

سلي منْ نديمي في النَّدامى ومألفي

ومنْ هوَ لي عندَ الصَّفاء خدينُ

وأيّ أخي حربٍ إذا هيَ شمرتْ

ومدرهِ خصمٍ بعدَ ذاكَ أكونُ

وهل يحذرُ الجارُ الغريبُ فجيعتي

وخَوْني، وبَعْضُ المُقْرفينَ خؤونُ

وما لمَعَتْ عَيْني لِغِرَّةِ جارةٍ

ولا ودَّعتْ بالذَّمّ حينَ تبينُ

أبى الذَّمَّ نمتني جدودهمْ

لجَلْدٌ على رَيْبِ الخُطوبِ مَتِينُ

أمرٌّ على الباغي ويغلظُ جانبي

وذو القصدِ أحلولي لهُ وألينُ

وإنّي لأعْتَامُ الرّجالَ بخُلّتي

أُولي الرَّأي في الأحْداثِ حِينَ تحِينُ

اردَّ الخليطُ الجمالَ فانقضبا

ردَّ الخليطُ الجمالَ فانقضبا

وقطّعوا منْ وصالكِ السَّببا

قادتهمُ للفراق شاطنةٌ

فشطَّ وليُ الحبيبِ فاغتربا

لَمْ أدْرِ قَبْلَ النّوَى بِبَيْنِهِمُ

حتّى استطارتْ عصاهمُ شعبا

هِنْدٌ تَجَنّى الذُّنُوبَ عاتِبَةً

يا حبَّ بالعاتبِ الذي عتبا

أقسمتُ لولا الذي زعمتُ وما

خبرتُ قوماً عن مجدهمْ كذبا

وقدْ أضعتِ الذي حفظتُ منَ الـ

ـودّ ـلقدَّ متُ مدحةً عجبا

أفنيتُ دهري وطولَ دهركِ لا

نَنْفَكُّ نُزْجي مَقالةً لَعِبَا

يَسْلُكُ منْها الصَّعودَ مَنْ طلَبَ الـ

ـقصدَ وتعوي سباعها كلبا

هلاَّ إذِ الخورُ في أصرَّتِها

والحفلُ في الدَّرّ تقطعُ العصبا

لاقَيْتِ أمري والرَّأيُ مُؤْتَنِفٌ

أتبعُ رأساً وأتركُ الذَّنبا

في غيرِ ما كنهِهِ سفهتِ وما

أحدثتِ حالاً فتحدثي الخطبا

الحَمْدُ للّهِ البَنِيّةِ إذْ

أمستْ دحيٌّ قدْ أتْخنتْ غلبا

يَرْكَبُ حَزْنَ الطّرِيقِ أوّلُهُمْ

يدعو يني عمهِ وقدْ كربا

غودرَ عندض المكرّ سيّدهمْ

فيهِ سنانٌ تخالهُ لهبا

وابنا حرامٍ وثابتٌ كشفتْ

خَيْلاهُما عَنْهُما وقَدْ عَطِبَا

زُرْنَاهُمُ بالخَمِيسِ ضَاحِيةً

نُزْجي إلى المَوْتِ جَحْفَلاً لَجِبَا

جاءتْ بنو الأوسِ عارضاً برداً

تَحْلِبُهُ الرّيحُ مُقْبِلاً حَلَبا

أرْعَنَ مِثْلَ الأتيّ أعْقَبَهُ

صَوْبُ مُلِثٍّ يُسَيِّلُ الحَدَبَا

إنَّ بني الأوسِ حينَ تستعرُ الـ

ـحَرْبُ لكالنّارِ تأكلُ الحَطَبَا

إنَّ بني الأوسِ معشرٌ صدقوا الـ

ـضَّرْبَ وَسَنُّوا الإساءَ والنَّدَبَا

فَصَمَدُوا رَأس كَبْشِ إخْوَتِهِمْ

حتّى تولّوا واستنفروا هربا

بكُلّ لَيْنٍ ماضٍ ضَرِيبَتُهُ

عَضْبٍ إذا ما هَزَزْتَهُ رَسَبا

قالتْ بنو الأوسِ منْ عفافهمُ

مرُّوا ولا تأخذوا لهمْ سلبا

تسوقُ أخراهمُ أوائلهمْ

كما يسوقُ المعارضُ الجلبا

لمّا دعاهمْ للموتِ سيّدهمْ

ثَابَتْ إليهمْ جُمُوعُهُمْ عُصَبَا

ألَمَّ خَيَالُ لَيْلى أمِّ عَمْرو

ألَمَّ خَيَالُ لَيْلى أُمِّ عَمْرِو

ولمْ يلممْ بنا إلاَّ لأمرِ

تقولُ ظعينِي لمّا استقلّتْ:

أتتركُ ما جمعتَ صريمَ سحرِ

فقلتُ لها: ذريني إنَّ مالي

يَرُوحُ إذا غَلَبْتُهُمُ ويَسْرِي

فلستُ لِحَاصِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْنَا

نُجَالِدُكُمْ كأنّا شَرْبُ خَمْرِ

وتحملُ حربهمْ عنا قريشٌ

كأنَّ بَنَانَهُمْ تَفْرِيكُ بُسْرِ

وتُدْرِكُ في الخَزَارِجِ كلَّ وِتْرٍ

بذمِّ الكاهنين وذمِّ عمرو

زَجَرْنا النَّخْلَ والآطامَ حتّى

إذا هِيَ لَمْ تُشَيِّعْنا لِزَجْرِ

هَمَمْنا بالإقامةِ ثمَّ سِرْنا

كَسَيْرِ حُذَيْفَةِ الخَيْرِ بن بَدْرِ

ورثنا المجدَ قدْ علمتْ معدٌّ

فَلَمْ نُغْلَبْ ولَمْ نُسْبَقْ بوترِ

متى تلقوا رجالَ الأوسِ تلقوا

لِبَاسَ أسَاودٍ وجُلُودَ نُمْرِ

ونَصْدُقُ في الصَّبَاحِ إذا التَقَيْنا

ولَوْ كانَ الصَّباحُ جَحِيمَ جَمْرِ

ألا أبلغْ بني ظفرٍ رسولاً

فلَمْ نَذْلِلْ بيَثْربَ غَيْرَ شَهْرِ

خذلناهُ وأسلمنا الموالي

وفَارَقْنا الصَّريحُ لِغَيْرِ فَقْرِ

أبحنا المسبغينض كما أباحتْ

يَمانُونا بَني سَعْدِ بن بَكْرِ

فإنْ نلحقْ بأبرهةَ اليماني

ونعمانٍ يوجهنا وعمرو

وإنْ نَنْزلْ بذِي النَّجَدَاتِ كُرْزٍ

نلاق لديهِ شرباً غيرَ نزرِ

له سَجْلان: سَجْلٌ منْ صَريحٍ

وسجلُ تريكةٍ بعتيق خمرِ

ونمنعُ ما أرادوا، لا يعاني

مقيمٌ في المحلّةِ وسطَ قسرِ

وإنْ تَغْدُو بنا غَطَفانُ تُرْدِفْ

نِسَاءَهُمُ ونَقْتُلْ كُلَّ صَقْرِ

فنحنُ النّازلونَ على المنايا

ونَحْنُ الآخِذُونَ بكُلّ ثَغْرِ

الأُصَرِّفَنّ سِوَى حُذَيْفَةَ مِدْحتي

لأُصَرِّفَنّ سِوَى حُذَيْفَةَ مِدْحتي

لفنى العشيِّ وفارسِ الأجرافِ

منْ لا يزال يكبُّ كلَّ ثقيلةٍ

وَزْماءَ غَيْرَ مُحاولِ الإنْزَافِ

رحبُ المباءةِ والجنابِ موطّأٌ

مَأوًى لكُلّ مُعَصَّبٍ مِسْوافِ

الضَّاربُ البَيْضَ المُتَقَّنَ صُنْعُهُ

يَوْمَ الهياجِ بكُلّ أبْيَضَ صافي

إنْ تلقَ خيلَ العامريِّ مغيرةً

لا تلقهمْ متعفِّقي الأعرافِ

وإذَا تَكُونُ عَظِيمَةٌ في عَامِرٍ

فَهُوَ المُدَافِعُ عَنْهُمُ والكافي

الواتِرُونَ المُدْرِكُونَ بتَبْلِهِمْ

والحاشدونَ على قرى الأضيافِ

تعدوبهمْ في الرَّوع كلُّ طوالةٍ

تنضو الجيادَ، ومنهبٍ غرَّافِ

ربذس قوائمهُ شديدٍ أسرهُ

صلتِ المعذَّرِ ذي بيبٍ ضافِ

ألْفَيْتَهُمْ يَوْمَ الهياجِ كأنّهُمْ

أسدٌ ببيشةَ أو بغافِ روافِ

إذا قَبيلٌ أرَادُونا بمُؤذِيَةٍ

إذا قَبيلٌ أرَادُونا بمُؤذِيَةٍ

فَبالظّواهِرِ أهْلُ النّجْدَةِ البُهَمُ

إذا الخَزارجُ نادَتْ يَوْمَ مَلْحَمَةٍ

وشَدَّتِ الكاهِنانِ الخَيْلَ واعْترَموا

تدارموا الأوسْ لمّا رقَّ عظمهمُ

حتى تلاقتْ بهِ الأرحامَ ولادِّمُ

لمّا أتَتْ من بني عَمْرِو مُلْمَلمَةٌ

بها تهدُّ حزونُ الأرضِ والأكمُ

ومن بن خطمةَ الأبطالش قدْ علموا

لا يهلعونَ إذا أعدؤاهمْ سلموا

جزاهمُ اللهُ عنّا أينما ذكروا

لدى المَكارمِ إذْ عُدَّتْ بها النِّعَمُ

تاللهِ نكفرهمْ ما أورقتْ عضةٌ

وكانَ بالأرضِ منْ أعلامها علمُ

ساقوا الرُّهونَ وآسونا بأنفسهمْ

عندَ الشدائد قدْ برُّوا وقدْ كرموا

ولستُ ناسيهمْ إن جاهلٌ خطلٌ

خنا، وما جدبوا عرضي وما كلموا

اتقولُ ابنةُ العمري آخرَ ليلها

تقولُ ابنةُ العمري آخرَ ليلها

علامَ منعتَ النومَ، ليلكَ ساهرُ

فقلتُ لها: قومي أخافُ عليهمُ

تَبَاغِيَهُمْ، لا يُبْهكُمْ ما أُحاذِرُ

فلا أعرفنكمْ بعدَ عزٍّ وثروةٍ

يُقالُ: ألا تِلْكَ النَّبيتُ عَساكِرُ

فلا تَجْعَلوا حَرْباتِكُمْ في نحوركمْ

كما شدَّ ألواحَ الرِّتاجِ المسامر

ايا عَمرُو قدْ أعْجَبْتني منْ صَاحِبٍ

يا عَمرُو قَدْ أعْجَبْتني منْ صَاحِبٍ

حيناً تشجُّ وتارةً تأسوني

أمّا الفُؤادُ فَنَاصِحٌ فيما بدا

والقولُ قولُ احمق المجنون

وإذا أقومُ بخطبةٍ ترضى بها

وإذا أوقمُ بخطبةٍ تخزيني

اكَمْ قائمٍ يُحْزِنُهُ مَقْتَلي

كَمْ قائمٍ يُحْزِنُهُ مَقْتَلي

وقاعدٍ يرقبني شامتُ

أبلغْ خداشاً أنّني ميتٌ

كلُّ امرئٍ ذي حسبٍ مائتُ

افما ظبْيَةٌ مِنْ ظِباء الحِسا

فَما ظَبْيَةٌ مِنْ ظِباء الحِسا

ء عَيْطاءُ تَسْمَعُ مِنْها بُغاما

ترشِّحُ طفلاً وتحنو لهُ

بحِقْفٍ قدَ انْبَتَ بَقْلاً نُؤاما

بأحْسنَ مِنْها غَدَاةَ الرَّحِيـ

ـلِ قَامَتْ تُريكَ أثِيثاً رُكاما

فما كانَ حبُّ ابنةِ الخزرجـ

ـيِّ إلاَّ عناءً وإلاَّ غراما

فهلْ ينسينْ حبَّها جسرةٌ

مِنَ النّاعِجاتِ تُباري الزِّماما

كأنَّ قُتُودي على نِقْنِقٍ

أزجَّ يباري بجوٍّ نعاما

وفي الأرضِ يسبقُ طرفَ البصيرِ

فَبَيْنا يَعُوجُ تَرَاهُ اسْتَقَاما

ومأقِطِ خَسْفٍ أقَمْنا بِهِ

على ضتكهِ خشيةً أنْ نلاما

وقَوْماً أبَحْنا حِمَى مَجْدِهِمْ

وكانوا لِمَنْ يَعْتريهِمْ سَنَاما

أذاعتْ بهِمْ كلُّ خَيْفانةٍ

طروحٍ طموحٍ تلوكُ اللّجاما

ألا أبلغا ذا الخزرجيَّ رسالةً

ألا أبلغا ذا الخزرجيَّ رسالةً

رِسَالةَ حَقٍّ لَسْتُ فِيها مُفَنَّدا

فإنّ تركناكم لدى الردم غدوة

فَريقَيْنِ: مَقْتُولاً بهِ ومُطَرَّدا

صَبَحْناكُمُ مِنّا بهِ كُلَّ فارسٍ

كريم النثا يحمي الذمار ليحمدا

أتَذْكُرُ أمْراً لَمْ تَنَلْهُ، وإنّما

تَناوَلَ سَجْلَ الحَرْبِ مَنْ كان أنجدا

فَذُقْ غِبَّ ما قَدَّمتَ، إنّي أنا الذي

صَبَحْتُكُمُ فيهِ السِّمامَ بِبُرْجُدَا

ونحنُ حُماةُ الحَرْبِ لَيسَتْ تَضِيرُنا

نسوقُ خميساً كالقطا متبددا

ألَمَّ خَيَالٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مَوْهِناً

ألَمَّ خَيَالٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مَوْهِناً

فَلَمْ أغْتَمِضْ لَيلَ التَّمامِ تهجُّدا

وكانَ يراها القلبُ جيداءَ ترتعي

سوائلَ يمنٍ فالحساءَ فأرشدا

وماءٍ على حَافاتِهِ أُبَّدُ القَطا

تَخَالُ بهِ دِمْنَ المعاطِنِ إثْمِدَا

أقمتُ بهِ ليلاً طويلاً فلمْ أجدْ

لِذي أرَبٍ يَبْغي الرَّغائبَ مَقْعَدَا

ونَحْنُ حُماةٌ لِلعَشِيرةِ أيْنما

نكنْ لا يبالوا أن يغيبوا ونشهدا

نُحامي على جِدْمِ الأغَرّ بمالِنا

ونبذلُ حزراتِ النّفوسِ لنحمدا

صَبَحْناهُمُ عِنْدَ القِتَالِ بغَارةٍ

فأصْبَحَ قَيْسٌ بَعْدَها مُتَلَدِّدا

يَعَضُّ عَلى أطْرَافِهِ كُلّما بَدَا

لنا فراسٌ يبغي القتالَ تنجُّدا

اوليسَ بنافع ذا البخلِ مالٌ

وليسَ بنافعٍ ذا البخلِ مالٌ

ولا مُزْرٍ بصاحِبِهِ السّخاءُ

وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفاهُ

وداءُ النُّوكِ ليس لهُ شفاءُ

يودُّ المرءُ ما تعدُ الليّالي

وكان فناؤهن له فناءُ

كَذاكَ الدَّهْرُ يَصْرِفُ حالَتَيْهِ

ويعقبُ طلعةَ الصُّبحِ المساءُ

فإنَّ الضَّغْطَ قَدْ يَحْوِي وِعاءً

ويَتْرُكُهُ إذا فَرَغَ الوعاءُ

ليخرجَ ما بهِ امتلأ الأناءُ

أأصبحتْ من حلول قوميَ وحشاً

أصبحتْ من حلول قوميَ وحشاً

رحبث الجدار جلسها فالبطاحُ

أعَلى العَهْدِ أصْبَحَتْ أُمُّ عَمْرِو

لَيْتَ شِعْري، أم غالها الزُّمّاحُ؟

إنْ ترينا قليلينَ كما ذيـ

ـدَ عَنِ المُجْرِيينَ ذَوْدٌ صِحَاحُ

فَبِهِمْ لِلْمُلاينينَ أَنَاةٌ

وطماحٌ إذا يرادُ الطِّماحُ

أكَثِّرُ أهْلي مِنْ عِيالِ سِواهُمُ

أُكَثِّرُ أهْلي مِنْ عِيالِ سِواهُمُ

وأطوي على الماء القراح المبرَّدِ

إذا المرءُ لمْ يشبهْ أباهُ وجدَّهُ

وأُقْحِمَ إقْحاماً فلَمْ يَتَسَدَّدِ

الو كنتمُ منّا قريباً لخفتمُ

لو كنتمُ منّا قريباً لخفتمُ

سِبابي إذا أنْشَأتُ في شُرُبِ الخَمْرِ

وإنّي لَمِسْماحُ العَشِيِّ مُؤَزَّرٌ

أسامحُ في أمثالكمْ عصبَ التَّجرِ

كأنّهُمُ إذْ وَاقَفُوني على مِنًى

سيولُ الحجازِ ناطحتْ عرض البحرِ

فما الأسدُ باللأتي الغريف مقيلها

ولكنَّ أُسْدَ الغابِ حافةَ ذي الجَدْرِ

بَنُوا حَطْمَةَ الأبْطالُ إنّهُمُ بها

غذوا، وعليها ينشأونَ يدَ الدّهرِ

اكَتُومٌ لأسْرَارِ الخَلِيلِ أمِينُها

كَتُومٌ لأسْرَارِ الخَلِيلِ أمِينُها

يرى أنَّ بثَّ السرّ قاصمةُ الظَّهرِ

وقد ضمرتْ حتى كأنَّ وضينها

وشاحُ عَرُوسٍ جالَ مِنها على خَصْرِ

اولا ينسيني الحدثانُ عرضي

ولا ينسيني الحدثانُ عرضي

ولا أرخي منَ المرحِ الإزارا

اوقدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّريّا لمَنْ رأى

وقدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّريّا لمَنْ رأى

كَعُنْقُودِ مُلاَحِيّةٍ حِينَ نَوَّرا

ايقولُ ليَ الحدَّادُ وهوَ يقودني

يقولُ ليَ الحدَّادُ وهوَ يقودني

إلى السِّجن: لا تجزعْ فما بكَ منْ باسِ

. . . . . .

وتتركُ عذري وهو أضحى من الشمس

افلا تَمْدُلْ بسِرّكَ، كلُّ سِرّ

فلا تَمْدُلْ بسِرّكَ، كلُّ سِرّ

إذا ما جاوزَ الإثنين، فاشي

واللَّهِ لا يأتي بخَيْرٍ صدِيقُها

واللَّهِ لا يأتي بخَيْرٍ صدِيقُها

بَنو خَنْدَعَ ما اهتَزَّ في البحْرِ أيْدَعُ

إذا أنتَ لم تَنْفَعْ فَضُرَّ، فإنّما

إذا أنتَ لم تَنْفَعْ فَضُرَّ، فإنّما

يُرَجّى الفَتى كَيْما يَضُرَّ ويَنْفَعا

انحنُ بغرس الوديّ أعلمنا

نحنُ بغرس الوديّ أعلمنا

منّا بركّض الجيادِ في السَّدَفِ

يا لهْفَ نَفْسِي وكيف أطْعنُهُ

مستمسكاً واليدان في العرفِ

قَدْ كُنْتُ أدْرَكْتُهُ فأدْرَكَني

للصَّيْدِ عرفٌ مِنْ مَعْشَرٍ عُنُفِ

امأوى الضَّريك إذا الرياحُ تناوحتْ

مأوى الضَّريك إذا الرياحُ تناوحتْ

ضَخْمِ الدَّسيعةِ مُخْلِفٍ مِئلافِ

فَسقى الغوادي رَمْسَكَ ابنَ مُكَدَّمٍ

مِنْ صَوْبِ كلِّ مُجَلْجِلٍ وكّافِ

أبلغْ بني بكرٍ وخصَّ فوارساً

لحقوا الملامة دون كلّ لحافِ

أسلمتمُ جذلَ الطِّعان أخاكمُ

بينَ الكَديدِ وقُلّةِ الأعرافِ

حتّى هَوَى مُتَدائلاً أوْصَالُهُ

لِلْحْدِ بينَ جَنادلٍ وقِفافِ

للّهِ دَرُّ بَني عَدِيٍّ إنّهُمْ

لَمْ يَثْأروا عَوْفاً وحَيَّ خِفافِ

االحافظو عورةَ العشيرةِ، لا

الحافظو عورةَ العشيرةِ، لا

يأتيهمُ مِنْ وَرَائنا وَكَفُ

يطرأ في بعض رأيه السَّرفُ

نحن المكيثونَ حيث يحمدُ بالـ

ـمُكْثِ ونحن المصالتُ الأُنُفُ

خالفتَ في الرأي كلَّ ذي فجرٍ

والبَغْيُ يا مالِ غيرُ ما تَصِفُ

إنَّ بجيراً مولى لقومكمُ

والحقُّ نُوفي بهِ ونَعْترفُ

إنّي على ما ترينَ منْ كبري

أعْلَمُ مِنْ أين تُؤْكَلُ الكَتِفُ

إنَّ بني عمّنا طغوا وبغوا

ولَجَّ مِنْهُمْ في قَوْمِهِمْ سَرَفُ

بين بني جحجى وبينَ بني

كُلْفَةَ أنّى لِجَارِيَ التَّلَفُ

اأجودُ بمضنونِ التّسلادِ وإنني

أجودُ بمضنونِ التّسلادِ وإنني

بسرك عمّنْ سالتني لضنينُ

فأبري بهمْ صدري وأصفي مودَّتي

وسِرُّك عندِي بعد ذاكَ مَصُونُ